# جهود أبي القاسم سعد الله في أدب الرحلة: دراسة وتحليل

**عبد الحق بلقيدوم**

– كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باجي مختار – عنابة، BELGUIDOMA@yahoo.fr

**تاريخ الإيداع:** 2015/10/21 **تاريخ المراجعة:** 2015/11/10 **تاريخ القبول:** 2016/12/15

**ملخص**

*يرمي هذا البحث إلى إبراز جهود الراحل أبي القاسم سعدالله (ت 2013 م) في أدب الرحلة، ويحاول رصد مختلف مساهماته فيها؛ من التعريف بالرحلات إلى ترجمتها وتحقيقها. شكلت الجزائر الإطار العام الذي عمل داخله سعد الله؛ فاعتنى بالرحلات الجزائرية بكل أنواعها: الحجازية (النثرية والشعرية)، والعلمية والجغرافية، وحتى الرحلات غير المصنفة. كما اعتنى برحلات غير الجزائريين، سواء من المغرب العربي أو الأوربيين؛ الذين وردت في متون رحلاتهم أخبار عن الجزائر، أو كانت رحلاتهم إلى الجزائر بصفة خاصة. فتعب في الحصول على المخطوطات النادرة لهذه الرحلات، وعمل على التعريف بها، وتحقيق ما أمكنه منها، أو ترجمة ما كان بغير اللغة العربية إلى العربية. وجمع جهوده في أغلب مؤلفاته التي تعد اليوم مرجعا جزائريا خصبا في هذا الميدان.*

***الكلمات المفاتيح: أبو القاسم سعد الله، رحلات جزائرية، تعريف بالرحلات، ترجمة، تحقيق.***

## *Study and Analysis of Abulkacim Saâd Allah Contributions in Travel Literature*

***Abstract***

*This work tries to present the contributions of Abulkacim Saâd Allah in terms of travel literature. These efforts are reflected in the presentation, translation, and codicology of Algerian travel manuscripts. Algeria represented a large space in which the author devoted his historical and cultural research. The travel stories varies between Hijazi (pilgrimage), scientific, and geographical voyages. Saâd Allah has even studied stories of other travelers, including those from Maghreb, and Europe; who visited Algeria, or who quoted Algeria in their writings.*

***Keywords: Abulkacim Saâd Allah, Algerian travels, travel presentation, translation, codicology.***

## *Les contributions d'Aboulkacim Saâd Allah dans litterature de voyage: étude et analyse*

***Résumé***

*Ce travail essaye de présenter les contributions d'Aboulkacim Saâd Allah en matière de la littérature de voyage. Ces efforts se manifestent dans la présentation, la traduction, et la codicologie des manuscrits des voyages algériens. L'Algérie a représenté un grand espace dans lequel l'auteur a consacré ses recherches historiques et culturelles. Les récits de voyages algériens varies entre: récits des voyages Hijazi (de pèlerinage), scientifiques, et géographiques. Saâd Allah a même étudié des récits d'autres voyageurs, dont: ceux des maghrébins et européens qui ont visités l'Algérie, ou l'ont cités dans leurs écritures.*

***Mots-clés: Aboulkacim Saâd Allah, voyages algériens, présentation du récit de voyage, traduction, codicologie.***

**المؤلف المرسل:** عبد الحق بلقيدوم، BELGUIDOMA@yahoo.fr

**مقدمـة**

تولدت لدي الرغبة الملحة في طرق هذا الموضوع؛ أقصد جهود الكاتب أبي القاسم سعد الله[1] في مجال أدب الرحلة، بعد قراءتي لكتابه "**تاريخ الجزائر الثقافي**" وخاصة الجزء الثاني منه؛ إذ تعرفت بفضله على عدد من الرحالة الجزائريين الذين كنت لا أعرف عنهم شيئا؛ أمثال: ابن حمادوش الجزائري[2]، وأبي راس الناصر[3]، وابن الدين الأغواطي[4]، وعاشور بن موسى القسنطيني الملقب بـ"**الفكيرين**"[5] وغيرهم. لكن بعد اطلاعي على كتبه الأخرى؛ مثل "**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**" بأجزائه الأربعة، وكتاب "**تجارب في الأدب والرحلة**" تمكنت من اكتشاف أن اهتمام سعد الله بأدب الرحلة لم يكن عرضيا في متن تأليفه الأول "تاريخ الجزائر الثقافي"؛ فعزمت على البحث في هذا الاتجاه، وذلك بتبيان جهود الرجل في أدب الرحلة في قالب تساؤلات حاولت الإجابة عنها في هذه الدراسة لإبراز مكانته العلمية والأدبية، معتمدا في ذلك على ما دَوَّنه في متون كتبه الأخرى، وعلى ما ألفه عن الرحالة.

وابتداءً تتبادر الأسئلة تباعا: ما سر اهتمام سعد الله بالرحلات؟ وهل كان اهتمامه بها عرضيا أم كان هادفا؟ والحقيقة أن استقراء مؤلفات سعد الله تبين أن اهتمامه بأدب الرحلة يعزى إلى سببين؛ أولهما: أن الرجل لم يكن مؤرخا لتاريخ الجزائر فقط – كما شاع عند أغلب الدارسين – إنما هو أديب، شاعر؛ بل كان من أوائل من كتب شعر التفعيلة في الجزائر، كما كان قاصا، وله باع كبير في ميدان الأدب. فاهتمامه بأدب الرحلة أصيل أصالة شخصيته الأدبية. أما السبب الثاني: فهو المشروع الحضاري الذي انبرى الرجل إلى تشييده؛ ألا وهو إبراز الإرث الثقافي للجزائر عبر التاريخ. فتركزت جهوده في تبيان أن أدب الرحلات الجزائري جزء لا يتجزأ من تاريخ الجزائر الثقافي. يحيلنا كل هذا إلى سؤال آخر لا يقل أهمية عما سبق: ماهي مستويات اهتمام أبي القاسم سعد الله بأدب الرحلة؟ هل كانت مقصورة على الرحلات الجزائرية فقط؟ أم تعدتها إلى غيرها من الرحلات؟ والحقيقة أن اهتمام سعد الله بأدب الرحلة انقسم إلى أربعة مستويات: التعريف بالرحلات، وتحقيقها، وترجمتها، وكتابتها[6].

أما الرحلات والرحالون، فقد اهتم سعد الله برحلات الجزائريين وغيرهم من رحالة المغرب العربي أو الأوربيين الذين زاروا الجزائر؛ أو ذكروها في رحلاتهم؛ وهو في هذا ملتزم بالإطار العام لمشروعه المتعلق–كما ذكرنا–بإبراز الموروث الثقافي الجزائري؛ وذلك من خلال رحلات الجزائريين أو غيرهم ممن اهتموا بالجزائر. ثم يقودنا البحث إلى التساؤل عن منهجه في كل مستوى من مستويات تلك المساهمة في أدب الرحلة: كيف عرَّف بالرحلات؟ وكيف ترجمها؟ وماذا ترجم؟ ولماذا؟ ثم ماذا حقق من الرحلات؟ وما مدى إصراره على مواجهة العقبات؟ حيث حاولنا في الحدود الممكنة الإحاطة بمجهودات الرجل ما وسعنا ذلك؛ وسيتبين ذلك في متن هذه الورقة العلمية.

أما الدراسات السابقة التي لها علاقة بالموضوع؛ فقد وجدت في كتاب الدكتور عمر بن قينة "**في الأدب الجزائري الحديث: تاريخا وأنواعا، وقضايا وأعلاما**" (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009) إشارات إلى مساهمات سعد الله في تحقيق بعض الرحلات الجزائرية وإلى التعريف ببعضها الآخر. كما ذكر الدكتور بن قينة في كتابه الآخر "**اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة**" (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995)، بعض رحلات سعد الله.

كانت الجزائر إذن، الإطار العام الذي دارت في فلكه جهود أبي القاسم سعد الله في أدب الرحلة، وهذا ما تراءى لنا في هذه الدراسة، من خلال المستويات التي أدرج فيها تلك المساهمات.

**أولا- التعريف بالرحلات**

لم يدَّخِر أبو القاسم سعد الله جهدا في الوصول إلى الرحلات التي سمع عنها، خاصة الجزائرية، أو غيرها التي ذُكِرت الجزائر في متونها؛ مثال ذلك ما ذكره عن سعيه الحثيث في الحصول على إحدى الرحلات: "وبقدر ما سُرِرت بخروج الرحلة إلى الضوء بقدر ما حزنت على عدم ظهورها بالعربية. ومع ذلك سعيت في الحصول على نسخة من طبعة الدكتور نوريس حتى نجحت"[7]. وقد أثمرت هذه الجهود في التعريف بعدة رحلات اختلفت بين رحلات جزائرية، ورحلات المغاربة، لكن معظم جهوده تركزت على الرحلات الجزائرية. يقسم أبو القاسم سعد الله هذه الرحلات إلى رحلات حجازية ورحلات علمية؛ فقال: "... وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج، وبذلك تكون رحلات حجازية وبعضها نتيجة لطلب العلم وبذلك تكون رحلات علمية"[8]، أما الرحلات الجغرافية فيشير إلى أنها تكاد تنعدم في تراثنا باستثناء رحلة ابن الدين الأغواطي وبعض إشارات الورتلاني وابن حمادوش[9].

**1- الرحلات الحجازية**

أفرد سعد الله في كتابه "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، في الجزء الأول منه قسما خصصه للتعريف بالرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثماني، وقسَّم فيه الرحلات إلى ثلاثة أقسام:

- قسم مفقود تماما، لا يعرف إلا بالاسم ضمن مؤلفات أصحابه.
- قسم موجود يمكن العودة إليه في أي وقت.
- وقسم بعضه مفقود وبعضه موجود متوفر.

تحت هذا التقسيم ميَّز سعد الله الرحلات الحجازية الجزائرية بين نثرية؛ وهو النوع الغالب، وبين رحلات منظومة شعرا؛ سواء أكان شعرا فصيحا أم ملحونا، وفي هذا السياق، يلقي سعد الله الضوء على الإطار التاريخي الذي كتبت فيه الرحلات الحجازية الجزائرية أيام الحكم العثماني بالجزائر، حيث يرى أنه اتسم بسمتين أساسيتين: "الأولى تقلص الحياة العلمية بما فيها بدائية التعليم ونقص المدارس وقلة التأليف وعدم الاهتمام بالعلماء والمثقفين"[10]. أما الثانية فهي انتشار البدع بين عامة الناس وخاصتهم. ارتبطت صورة الحجاز في أذهان الجزائريين من الصنفين (عامة وخاصة) بالدين وحب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، مما جعل هذه الرحلات تفيض شوقا إلى هذه البقاع، وتحفل بالتفاصيل عن الأماكن التي اصطبغت بصبغة التقديس والتبجيل عند الرحالة؛ بما أنها كانت موطنا للنبي (صلى الله عليه وسلم)، لذلك كان بعض الرحالة لا يعود من الحج؛ كالعلماء بخاصة.

**1-1- الرحلات الحجازية المنظومة شعرا:**

**أ- القصيدة الطويلة للشاعر سعيد المنداسي:** وتُعرَف "**بالعقيقة**"، نظمها سنة 1088هـ (1677م)، وبها ثلاثمائة وثلاثة أبيات، وهي في وصف رحلته إلى الحجاز، وذكر المنازل والمناسك بها، ومدح النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقد لقيت هذه الرحلة شهرة أغرت المؤلفين بشرحها وإضافة معلومات كثيرة إليها، حتى أصبحت هذه الشروح بمثابة رحلات مستقلة؛ منها: شرح "**محمد أبي راس الناصر**" الذي سماه: "**الدرة الأنيقة**"، وشرح آخر يسمى "**الأزهار الشقيقة المتضوعة بعرف العقيقة**"[11].

**ب- قصيدة محمد بن مسائب:** التي تصف رحلته من تلمسان إلى مكة المكرمة، وهي من الشعر الملحون، تجيش بمشاعر الشوق إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) والأماكن المقدسة، وفيها وصف للآثار والأماكن والطرق المؤدية إلى الحجاز، ومطلع القصيدة:

يَا الْوَرْشَانْ اُقْصُدْ طِيبَة وْسَلِّمْ عْلَى السَّاكِنْ فِيهَا.

**ج- قصيدة محمد بن محمد منصور العامري التلمساني:** وهي من الشعر الفصيح، وصف فيها مسار رحلته إلى البقاع المقدسة من منطلقه من "**تازة**" بالغرب الجزائري، ثم إلى الشام؛ ومطلعها:

أَزْمِعِ السَّيْرَ إِنْ دَهَتْ أَدْوَاءُ لِشَفِيعِ الْأَنَامِ فَهُوَ الدَّوَاءُ [12].

**د- قصيدة عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجاجي:** وهي قصيدة طويلة فصيحة، وصف فيها رحلته سنة 1063هـ إلى مكة المكرمة؛ ومطلعها:

نَشُقَّ الْفَيَافِي فَدْفَدًا بَعْدَ فَدْفَدِ جِبَالًا وَأَوْعَارًا وَأَرْضًا وَطِيَّةً.

وساق فيها المجاجي أخبارا عن مصر، والاسكندرية، والجزائر، وتونس، وطرابلس[13].

**هـ- ديوان الشيخ عبد الكريم ابن الفكون:** المرتب على حروف المعجم، وهو مختص بالمديح النبوي. وقد زار ابن الفكون الحجاز أميرا لركب الحجاج الجزائريين، وشاع ديوانه في كل الأقطار.

**1-2- الرحلات الحجازية النثرية:**

قبل أن يفصِّل سعد الله القول فيها، يورد إشارة مهمة مفادها أن الرحلات الحجازية الجزائرية "على قلتها لا تكاد توجد كاملة مخطوطة، فما بالك بها مطبوعة، وسنعرف أنه لا يوجد من الرحلات الجزائرية الكاملة والمطبوعة سوى رحلة الورتلاني"[14]. نورد هنا الرحلات النثرية التي عرَّف بها سعد الله، مقسمة على الأقسام الثلاثة المذكورة آنفا (المفقودة، الموجودة، والموجودة بجزء دون الأجزاء الأخرى):

**1-2-1- الرحلات المفقودة والمذكورة في تآليف أصحابها أو غيرهم:**

أ- **رحلة أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني:** وهو فقيه وعالم مدينة عنابة (1063هـ-1139هـ)؛ له تآليف عديدة منها رحلته المفقودة المسماة: "**الروضة الشهية في الرحلة الحجازية**". يذكر سعد الله أنها رحلة حجازية ذكر فيها البوني شيوخه وحجه وتجواله في المشرق العربي.

**1-2-2-الرحلات الموجودة بجزء دون أجزائها الأخرى:**

أ- **رحلة ابن عمار الجزائري:** وهو مفتي المالكية في زمانه، لا يُعرف له تاريخ ولادة ولا تاريخ وفاة. وابن عمار شاعر وناثر، وله الرحلة المعروفة بـ "**تحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب**". يذكر سعد الله أن الرحلة لم يبق منها غير جزء واحد، الذي يسميه بالمقدمة؛ وهي القسم الأول من الرحلة وبها مئتان وأربع وخمسون صفحة، ذكر فيها الرحالة دواعي تأليف الرحلة، وما دعاه إلى تسميتها بنحلة اللبيب، واستطرد فيها إلى عادات الجزائريين في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وترجم لبعض الأدباء والشعراء. أما القسم الثاني الذي سماه: "الغرض المقصود"، والقسم الثالث الذي سماه: "الخاتمة" فيذكر أنهما مفقودان. ويقرر سعد الله أن رحلة ابن عمار عرفت بين الناس "…. وقد أورد معاصره أبو راس الناصر ما يفيد بأن ابن عمار قد انتهى من رحلته، كما يفيد كلامه عنه أنه قد اشتهر بهذه الرحلة حتى أصبح اسمه لا يذكر إلا ملتصقا بها"[15].

**ب-رحلة عبد الرزاق بن محمد بن محمد بن حمادوش:** المعروف بابن حمادوش الجزائري، ولد بالجزائر سنة 1107هـ (1695م)، وعاش حوالي تسعين سنة، له الرحلة المعروفة بـ "**لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**"، وهي الرحلة المفقودة الأجزاء إلا الجزء الثاني منها. ورغم أن هذا الجزء لا يذكر فيه إلا رحلته إلى المغرب الأقصى، فإن سعد الله يذكرها في الرحلات الحجازية، حيث يقول: "فرحلته من هذه الناحية ليست حجازية، ولكن ابن حمادوش الذي اشتهر بتسجيل دقائق الأمور وصغيراتها في الجزء الثاني لا تخاله إلا أن يكون

قد سجل تفاصيل كثيرة عن أوضاع الجزيرة العربية أثناء حجاته"[16]، وقد أفرد سعد الله لهذه الرحلة تقديما كاملا في تحقيقه للرحلة سنذكره في حينه.

**ج- رحلة أبي عصيدة البجائي:** من أدباء الجزائر في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي)، أثناء العهد الحفصي، عاش في الجزائر وتونس وهاجر إلى الحجاز واستقر فيه، ومر أثناء رحلته بمصر والقدس وطرابلس الشام، وكانت له اتصالات بالعلماء؛ وخاصة بابن بلده أبي الفضل المشدالي الذي استقر به المقام في القاهرة، وكان من علماء عصره وأدبائهم.

للبجائي رسالة إلى مواطنه أبي الفضل المشدالي عنوانها: "**رسالة الغريب إلى الحبيب**"؛ ضمَّنها أخباره وبعض الطرائف الأدبية والنتف العلمية، وساق فيها أخبار رحلته التي أدرجها في كتابه المفقود: "**أنس الغريب وروض الأديب**" الذي وصفه في هذه الرسالة[17]. ويشير أبو عصيدة البجائي في رحلته إلى أنه حقق مبتغاه بوصوله الحجاز والإقامة فيه. يذكر سعد الله أنه حصل على نسخة من مخطوطة "رسالة الغريب" (ميكرو فيلم) من مكتبة جامعة" برنستون" (PRINCETON) بأمريكا، كما يشير إلى أنه قام بتحقيقها: "... والمعروفة بـ (رسالة الغريب إلى الحبيب)، وهذه الرسالة هي التي صورناها على الشريط، وأخذنا في تحقيقها"[18].

**1-2-3-الرحلات الموجودة كاملة (مطبوعة أو مخطوطة):**

**أ-رحلة أبي راس الناصر:** هو أبو راس الناصر[19]؛ واسمه بالكامل محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الناصر الجليلي[20]، ولد حوالي سنة 1165هـ (1752م) وتوفي سنة 1238هـ (1822م) أو 1239هـ (1823م) [21]. صاحب الرحلة الشهيرة المعروفة بـ "**فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**". يحدثنا سعد الله أنه اطلع على المخطوطة في المغرب الأقصى، وأخذ منها ما يتعلق بالجزائر، كما يخبرنا أن أبا راس الناصر قد ضمَّنها أخبار من لقيه وأخبار شيوخه بالمشرق والمغرب. وقد قسم أبو راس رحلته إلى خمسة أبواب تحدث فيها عن طفولته، وتعليمه، وزواجه، وحجه، وعن شيوخه، كما حدث في الباب الثالث عن رحلته إلى المشرق. ويقرر سعد الله في حديثه عن أسلوبه، أنه قلد **عبد الرحمان السيوطي** "الذي كتب هو أيضا تأليفا يحمل عنوانا شبيها بالعنوان السابق وهو: نزول الرحمة في التحدث بالنعمة"[22].

**ب- رحلة الورتلاني:** هو الحسين بن محمد السعيد الورتلاني، ولد في بني ورتلان بالجزائر سنة 1125هـ (1713م) وتوفي بها سنة 1193هـ (1779م). عاش ثقافة عصره، حتى أصبح مرابطا (شيخ الطريقة الشاذلية). حج الورتلاني ثلاث مرات سنة 1153هـ، وسنة 1166هـ، والأخيرة سنة 1179هـ، وحجته الأخيرة أوعزت له بكتابة رحلته الشهيرة المعروفة بـ "**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"؛ التي يخبرنا أبو القاسم سعد الله أنه أملاها على تلامذته كعادة مشايخ ذلك الزمن[23]، كما يذكر أن سفره كان برًّا؛ حيث وصف طريقه بالتفصيل، كما وصف أهل الأمصار التي وصلها وعلماءها وعادات أهلها، كما تحدث عن الحياة السياسية في مكة خاصة أثناء موسم الحج[24]. واعتمد الورتلاني-كما يصرح في رحلته-على مصادر كثيرة فيقول: "سيما أن اعتمادي في ذلك على رحلة شيخنا وقدوتنا ومن على الله ثم عليه اعتمادنا سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي الجعفري، هذا وإني أنقل أيضا من بعض كتب التاريخ كالنبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة، ومختصر الجمان في أخبار أهل الزمان، وكذا حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة"[25]. ويقرر سعد الله أن رحلة الورتلاني تعتبر موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر ميلادي) [26].

**2- الرحلات العلمية:**

لم يتوسع أبو القاسم سعد الله في التعريف بالرحلات العلمية كما كان شأنه مع الرحلات الحجازية، بل ساقها على سبيل الاختصار، فقد ورد في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"؛ في جزئه الثاني، ذكر الرحالين الجزائريين الذين قاموا برحلات علمية. ويقصد بالرحلات العلمية؛ الرحلات التي خرج أصحابها طلبا للعلم والاطلاع على البلدان والأخذ عن العلماء. ويقرر سعد الله أن أَقْدم من خرج في رحلة علمية من الجزائريين هو:

**2-1- عاشور بن موسى القسنطيني:** المعروف بـ"**الفكيرين**"؛ وهو أديب واسع المعرفة ذو حافظة وذكاء، صاحب رحلة دامت عشرين سنة، كما أنه مدرس له تلاميذ نوابغ أمثال أبي سالم العياشي صاحب الرحلة المعروفة بـ"**ماء الموائد**". لكن لا يوجد أثر لرحلة مكتوبة تنسب إليه، وإنما هي أخبار تداولتها الكتب عنه "فشد الرحال لطلب العلم إلى عدة بلدان وطالت غيبته عن بلاده نحو العشرين سنة، وهي مدة طويلة بالطبع سمحت له بالاطلاع والملاحظة وحذق لهجات ومعرفة قبائل وشعوب وبلدان"[(27)].

**2-2- عبد الرزاق بن حمادوش:** صاحب رحلة "**لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**" (سبق ذكره في الرحلات الحجازية)؛ وقد أشرنا إلى أنه لم يذكر في الجزء المعروف من رحلته أخبارا عن الحجاز، لكن أبا القاسم سعد الله استنتج ذلك؛ والثابت أن رحلته كانت علمية، خرج فيها لطلب العلم والتجارة وقد وصف ابن حمادوش في رحلته الحياة العلمية في المغرب الذي كان وجهة رحلته، التي زخرت بذكر العلماء ونشاطهم.

**2-3- محمد الزجاي:** عالم تلمساني عاصر عهد **محمد الكبير** (ت 1170هـ-1757م)؛ باي الغرب الجزائري، قام برحلة إلى المغرب. يخبرنا سعد الله أنه تنسب إليه رحلة تسمى "**الرحلة الفاسية**" في طلب العلم، لكنه لم يطّلع عليها.

**3- الرحلات الجغرافية:**

**3-1- رحلة ابن الدين الأغواطي:** هي رحلة قام بها الأغواطي بطلب من قنصل أمريكا بالجزائر، السيد "**ويليام هودسون**" (WILLIAM HUDSON). ولا يعرف عن ابن الدين من نسبه شيئا إلا هذا الاسم، لكنه يتسمى بـ "الحاج"، وهو من ناحية الأغواط، جمع في رحلته أخبارا عن الصحراء وقراها وواحاتها وعادات أهلها، وأخبارا عن الجزيرة العربية، وقابس، وجربة، وشنقيط، وغدامس، واعتمد أسلوب الجغرافيين الذين اهتموا بما عُرِف بـ "**أدب المسالك والممالك**"[(28)]، حيث يبين الأماكن ومساحتها والطرق المؤدية إليها والمسافات التي تفصل بينها وأهم مصادر اقتصادها، ويصف أهلها وطبقاتهم وعاداتهم ولباسهم وأكلهم. وأهم المناطق الجزائرية التي ذكرها ابن الدين في رحلته[(29)]: الأغواط، وتاقدامت، وعين ماضي، وجبل عمور، ومتليلي، ووادي ميزاب، والقليعة، وورقلة، وتقرت، وتوات، وتيميمون، وعين صالح. أما عن تاريخ قيام ابن الدين بالرحلة، فهي محصورة بين سنة 1825 وسنة 1829، ويشير سعد الله إلى أن هذه الفترة هي التي عمل فيها القنصل الأمريكي "هودسون" في الجزائر، وتَعرَّف خلالها بالحاج ابن الدين الأغواطي وطلب منه القيام بالرحلة[(30)].

**3-2- العربي المشرفي المعسكري:** هو أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي الحسني الغريسي؛ ولد بنواحي معسكر بالجزائر. وهو من علمائها الأكثر إنتاجا في القرن التاسع عشر الميلادي. عاصر المشرفي عهد احتلال فرنسا للجزائر، فهاجر إلى المغرب الأقصى، وتقرب من الأسرة العلوية الحاكمة، والسلطان الحسن الأول. عاد المشرفي إلى الجزائر مرتين، الأولى سنة 1264هـ (1848م) والثانية سنة 1294هـ (1877م) أثناء حجه، فسجل انطباعاته عن الجزائر "الفرنسية" في كتابه المسمى: "**ذخيرة الأواخر والأوَل فيما ينتظم من أخبار الدول**"،

يقول سعد الله في هذا السياق: "وفي الجزء الخاص بالجزائر حديث عن علمائها وأخبارها وأخلاق أهلها زمن الاحتلال كما يوجد فيه وصف لمدنها الأوروبية والوطنية وأحوالها. ويغلب على الظن أن (ذخيرة الأواخر) هي رحلته التي بدأها بالجزائر مارا بمصر والحجاز واسطنبول"[31]. إضافة إلى "ذخيرة الأواخر" ألّف المشرفي عدة رحلات أخرى؛ منها:

**3-2-1- "تزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده السيد الحسن"**: وهي المعروفة بالرحلة "**السوسية**"؛ وهذه الرحلة تحكي توجه المشرفي من مراكش إلى زاوية تمكدشت من بلاد السوس، "... فذكر ما رأى أثناء مروره في الطريق نثرا ونظما ... وقد وقعت هذه الرحلة سنة (1290هـ) و(1873م)"[32].

**3-2-2-"الرحلة العريضة في أداء الفريضة"**: و"**الرحلة الجزائرية**"، و"**رحلة القبائل الجبلية**"؛ وهي رحلة منظومة أولها: اَلْحَمْدُ للهِ مُنِيلِ الْبَرَكَة وَجَاعِلِ الرِّزْقِ فِي مَعْنَى الْحَرَكَة.

**3-2-3-"رحلة إلى شمال المغرب"**: رافق فيها السلطان الحسن الأول في موكب من العلماء سنة 1306هـ (1888م).

**4- رحلات أخرى:**

إضافة إلى الرحلات الحجازية والعلمية والجغرافية، بادر أبو القاسم سعد الله إلى التعريف برحلات أخرى ليست بالضرورة من الأصناف السابقة منها:

**4-1- رحلة محمد الكبير؛ باي وهران:** هو باي الغرب الجزائري في القرن الثامن عشر؛ من أهم الشخصيات في العهد العثماني، تقلد المناصب، وشجع العلماء والأدباء وأقام المدارس، والعمارة وخاض حروبا عديدة؛ خاصة الحرب ضد الإسبان، حيث استطاع تحرير وهران من سلطتهم سنة 1207هـ (1792م). كما قام بحملة ضد قبائل الصحراء لإخضاعهم لسلطة الداي بعد تمردهم، وهذه الحملة هي موضوع الرحلة التي كتبها مرافقه فيها "**أحمد بن هطال**".

ويعتبر أحمد بن هطال شخصية هامة في تاريخ الجزائر، لكنها ظلت مغمورة؛ فهو مستشار وكاتب ودبلوماسي ومحارب؛ "وإذا كانت شخصية ابن هطال هامة ثقافيا فإن موضوعه هام من عدة جوانب. وتتضمن الرحلة أخبارا جغرافية واجتماعية وسياسية وعسكرية وأدبية"[33].

**4-2- رحلة في سورية منسوبة إلى الأمير عبد القادر:** يشير سعد الله إلى أن بعض الباحثين، ومنهم "**كارل بروكلمان**" (CARL BROCKELMANN) ينسب إلى الأمير عبد القادر رحلة في سورية. وهي رحلة مخطوطة في مكتبة "بريل" (BRILL) بليدن، وهذا ما أثار فضوله للبحث فيها؛ فتقصى مظانها حتى عثر عليها في جامعة "مينيسوتا" (MINNESOTA)، واقتنى نسخة منها سنة 1978م[34].

قام سعد الله بوصف الرحلة، وينفي ابتداءً نسبتها إلى الأمير عبد القادر؛ ذلك أن اسمه ورد فيها مرتين: الأولى حين نزلت الجماعة المرتحلة إليه في "دمر" لطلب الإذن بالقيام بالرحلة، والثانية بعد عودتهم للتسليم على الأمير، وما عدا ذلك فليس للأمير صلة بالأحداث الواردة في الرحلة، ما عدا أن ابنه الأمير عبد الله هو قائدها. تدور الرحلة باختصار حول جماعة من أعيان دمشق، قاموا برحلة صيد من دمشق إلى بعلبك على خيولهم ومعهم كلبان، وصف كاتبها الأماكن التي نزلوها، والطبيعة التي رأوها، ومن لقوه في الطريق. ويرجح سعد الله أن الرحالة كانوا من المغاربة ومعهم بعض الدمشقيين، كما يجزم بعدم أهمية الرحلة تاريخيا أو جغرافيا؛ "أما نشر نصها

كاملا فلا نعتقد أنه سيخدم هدفا معينا، خصوصا ونحن لا نعرف شيئا عن مؤلفها حتى نستدل بها عليه أو نضيفها إلى أعماله الأخرى"[35].

**4-3- رحلة "ري الغليل في أخبار بني عبد الجليل"**: مخطوط لرحالة ليبي، وعنوانه الكامل: "ري الغليل في أخبار بني عبد الجليل"، مضاف إليه عبارة: "من سلاطين بلاد الفزان"، ويضم نص رحلة لأمير ليبي؛ هو محمد بن (السلطان) عبد الجليل بن غيث بن أحمد بن سيف النصر. يذكر سعد الله بشأنه أن السلطات الفرنسية، غداة احتلال الجزائر، قد جذبته فيمن جذبت أثناء بحثها عن عملاء لها، ومناصرين لاحتلالها للجزائر ولنيتها التوسعية في شمال إفريقيا. لذلك كان موقف المؤلف من فرنسا هو الإعجاب، ومدح أعمالها في مصر، وتبرير لما اقترفته في الجزائر. ويرجح سعد الله أن هذا الأخير ألّف كتابه بطلب من الفرنسيين[36]، كما كان الحال مع بعض الجزائريين[37]. ومهما يكن من أمر، فإن ما جذب سعد الله إلى التعريف بهذا المخطوط هو ما احتواه من أخبار عن الجزائر، خاصة في فترة اهتمام فرنسا باحتلال الصحراء "... ونظرا لاهتمامي الشخصي بتاريخ الجزائر من خلال تجربة المؤلف فقد وجدت في عمله أخبارا طيبة عن العلاقات بين الجزائريين والفرنسيين في وقته، ففيه حديث طويل عن الحروب التي دارت بينهم ولا سيما في منطقة الصحراء الشرقية"[38].

**4-4- رحلة ابن طُوَيْر الجنة:** نشير إلى أن هذه الرحلة حجازية، وإنما أخرناها لأنها ليست رحلة جزائرية، فمؤلفها هو أحمد بن طُوَيْر الجنة الشنقيطي؛ من شنقيط (موريتانيا حاليا)، وعنوانها هو: "**رحلة المُنَى والمِنَّة**". يذكر أبو القاسم سعد الله أنه اهتم بهذه الرحلة لاحتوائها أخبارا عن الجزائر، ذلك أن الرحالة لدى عودته مع حاشيته من الحج حل بالجزائر، وكان محل اهتمام الفرنسيين؛ "فقد كان هؤلاء يرجون من ورائه الحصول على معلومات هامة عن إفريقية الغربية والمغرب الأقصى على الخصوص لأنه قدم لهم نفسه (أو هكذا توهموا) على أنه أمير أو ملك (ودان) ونواحيها وليس مرابط درويش"[39]. والأصل العربي للرحلة مفقود، إنما لها ترجمات إلى اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية، ولها ترجمة عربية بعنوان: "**كتاب حجة أحمد بن طوير الجنة**".

**ثانيا-الترجمة:**

**1- ترجمة رحلة الأمير الألماني "موسكاو"**: ترجم أبو القاسم سعد الله إلى اللغة العربية عن الألمانية رحلة الأمير الألماني "بوكلر موسكاو" (PUCKLER MUSKAU) إلى الجزائر، التي كتبها سنة (1835م) على شكل رسائل بعث بها إلى أصدقائه نساءً ورجالا. والرحلة يسميها مؤلفها: "**سيميلاسو في إفريقيا**"، ويسميها سعد الله في ترجمته: "**رحلة الأمير الألماني موسكاو في عنابة**"؛ لأنه ترجم من رحلته ما تعلق بمدينة عنابة وضواحيها. زار هذا الأمير الجزائر سنة (1835م)، وتجول في عدة مدن ثم رحل إلى تونس، وكتب رحلته في ثلاثة أجزاء لدى عودته إلى بلاده. ترجم سعد الله ثلاث رسائل من الرحلة تتحدث عن عنابة هي:

**1-1-"رسالة إلى صديقي البارون"**: مؤرخة في 04 أفريل 1835م بعنابة، تتحدث عن حكم الإدارة الفرنسية لمنطقة عنابة بقيادة الجنرال "**دوزير**" (D'UZER)؛ وفيها وصفَ الطبيعة كوادي سيبوس، وجبال إيدوغ، كما حكى عن حملة عسكرية بقيادة هذا الجنرال ضد المقاومة المحلية بقيادة "**الحاج أحمد**"؛ باي قسنطينة.

**1-2- "رسالة إلى الكونت لويس فان ببرلين"**: مؤرخة في 15 أفريل 1835م بعنابة، وفيها يتحدث بتهكم عن منازل العرب بعنابة، لكنه يمدح الجو المنعش وسطوح المنازل والجبال والعيون، فهو كما قال سعد الله ينتمي إلى "الحركة الرومانتيكية التي كانت تسود الثقافة الأوروبية في عصره، وخاصة الأدب، لذلك لا نستغرب أن نجد له تعاليق وآراء في صميم هذه الحركة سواء فيها يتعلق ببلاده أو ببلادنا"[40].

**1-3-** "**رسالة رقم 24**": هكذا يوردها سعد الله؛ مؤرخة في 13 أفريل 1835م بطبرقة، وفيها حديث عن مغادرته عنابة بحرا على متن سفينة تجارية إلى مدينة "**جنوا**" (GENOVA) الإيطالية، كما يذكر حكاية تحطم سفينة في سواحل تونس مات فيها خمسة ركاب من بينهم ضابط فرنسي.

**1-3-1- منهج سعد الله في ترجمة الرحلة:** يصرح سعد الله بمنهجيته في الترجمة كما يلي: "أما الترجمة فقد سلكنا فيها طريقين، طريق التلخيص: وذلك في الأمور التي يستطرد فيها الأمير موسكاو كثيرا ويستغرق أثناءها في أمور شخصية لا تهم قارئنا في نظرنا وفي هذه الحالة لم نضع علامات التنصيص لما نترجمه. أما الطريق الثاني: فهو طريق الترجمة الكاملة المتتابعة لكلامه. وفي هذه الحالة وضعنا علامات تنصيص. والهدف من ذلك هو أن يميز القارئ بين الكلام الملخص والنص الحرفي"[41].

**2- ترجمة رحلة ابن الدين الأغواطي:** وقد سبق الحديث عنها فيما تقدم. هي رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي، وعنوانها: "**رحلة الأغواطي في شمالي افريقية والسودان والدرعية**"، ترجمها من العربية إلى الإنجليزية "ويليام هودسون" (WILLIAM HUDSON)؛ قنصل أمريكا بالجزائر سنة 1829م، وقام الأستاذ أبو القاسم سعد الله بترجمتها من الإنجليزية إلى العربية، ونشرها في "مجلة التاريخ" بالجزائر في عدد النصف الثاني من سنة 1982م[42]. كما نشرها في الجزء الثاني من كتابه "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، ثم أفرد لها كتابا خاصا، عنوانه: "رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية"؛ صدر في طبعة خاصة بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011م.

أما عن عثوره على الرحلة؛ فيخبرنا سعد الله أن ذلك حدث عند مطالعته لحياة وأعمال القنصل الأمريكي بالجزائر "**ويليام شيلر**" (WILLIAM SHELER)، التي قادته إلى البحث في سيرة أعمال خَلَفِه "ويليام هودسون"، أين اتضح له أنه قد ترجم رحلة ابن الدين الأغواطي. و"هودسون" هو قنصل الولايات المتحدة بالجزائر بين سنتي 1825م و1829م، وكان له باع في اللغات الشرقية، وقد بذل جهودا في تعلم اللغات العربية والتركية والبربرية. وفي هذه السنوات تعرَّف على الحاج ابن الدين الأغواطي، وأوعز له أن يقوم برحلة بغرض التعرف على امتداد رقعة اللغة البربرية؛ كما يصرح بذلك في ترجمته للرحلة التي نشرها بين سنوات 1829م و1831م في أمريكا[43].

أما الرحلة، فتعتبر نصا تاريخيا هاما جدا "فهي تحتوي على معلومات طيبة اجتماعية واقتصادية وجغرافية وسلالية ولغوية...عن المناطق التي تتحدث عنها"[44]، ونظرا لهذه المعلومات الهامة في نص الرحلة فقد شاع ذكرها، واهتم بها الأوربيون؛ إذ بادر الفرنسيون إلى ترجمتها من الإنجليزية إلى الفرنسية، فترجمها السيد "**دافيزاك**" (D'AVEZAC) ونشرها سنة 1836م. يؤكد سعد الله[45] أن النص الأصلي للمخطوط-حسب "هودسون"- مكتوب بخط عربي مغربي غير دقيق، وأن حجمه بلغ أربع عشرة صفحة.

**2-1-جهود سعد الله:** حاول سعد الله الوصول إلى النسخة الأصلية للمخطوط (نسخة المؤلف)، لكن جهوده باءت بالفشل، لكنه لم ييأس فصوَّر ترجمة "هودسون"، ولم يعثر معها على الأصل العربي، فوسَّع بحثه إلى أوراق "هودسون" الشخصية في وثائق الجمعية الفلسفية الأمريكية "بفيلادلفيا" (FILADELFIA)، ولدى إحدى العائلات بـ "نيوانقلاند" (NEW ENGLAND) بأمريكا، كما حاول البحث في المخطوطات العربية والفارسية والتركية المنسوبة إلى "هودسون" في مكتبة الكونغرس الأمريكي، لكنه لم يحظ بالوصول إلى مراده.

استعان سعد الله في الحصول على النسخة المصورة، من النص الأصلي لترجمة "هودسون" لرحلة الأغواطي، بصديقه الدكتور عبد الله الركيبي الذي تكفل بتصويرها له في المتحف البريطاني، كما استعان أيضا بخلاصة الرحلة المنشورة في مجلة "نورث أميريكان ريفيو" (NEW AMERICAN REVUE)، وكذا بالنص الكامل للترجمة الفرنسية في كتاب "دافيزاك"، الذي عنوانه: "**دراسات في الجغرافية النقدية**"[46].

**ثالثا–التحقيق:**

قام سعد الله بتحقيق عدة رحلات جزائرية، ظهرت للنور بفضل جهوده، منها:

**1– رحلة ابن حمادوش الجزائري:** حقق أبو القاسم سعد الله رحلة عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، المعروفة بـ "**لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**" اعتمادا على النسخة المخطوطة الوحيدة من الجزء الثاني للرحلة؛ إذ إن بقية أجزاء الرحلة مفقودة. وتوجد هذه المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط بالمغرب تحت رقم ك 463[47]. وقد سبق التعريف بصاحبها عبد الرزاق بن حمادوش. وأما رحلته فقد كانت محل اهتمام العلماء المسلمين، لما فيها من أخبار سياسية واجتماعية ودينية، وكذا العلماء الأوربيين الذين اهتموا بآثاره العلمية. يذكر سعد الله في هذا السياق أن الباحث الإسباني "**جواخيم دي خونزاليز**" (JOACHIM DI GONZALEZ) اتخذ رحلة ابن حمادوش مصدرا أساسيا في رسالته المعروفة بعنوان: "**مشاهير مسلمي مدينة الجزائر**"، حيث أخذ عنه أسماء ولاة الجزائر "ولذلك نرجح أن تكون لديه نسخة أخرى من هذه الرحلة"[48].

ويصف سعد الله المخطوط بأنه على شكل مسودة، في نسخة يتيمة، ورغم محاولاته العثور على نسخة أخرى ليعتمد عليها في تحقيقه للرحلة، إلا أنه لم يفلح في ذلك. ويضم المخطوط الجزء الثاني من الرحلة، وقد جاءت فاتحتها مقتضبة، فليس فيها الديباجة المعهودة في التآليف القديمة، وليس فيها بيان الغرض من التأليف، والدافع إليه، وخطته، وسبب اختيار العنوان، ونحو ذلك مما جرت عليه عادة المؤلفين في هذا الفن[49].

يعرض سعد الله في وصفه للمخطوط صفة بداية ونهاية الجزء الثاني من الرحلة، حيث يشير أنها مبتورة، كما يورد عدة ملاحظات حول اضطراب السطور الأخيرة من الرحلة من ناحية التواريخ، والخطوط، ما يثير التردد في نسبة ذلك إلى ابن حمادوش، أو إلى النساخ الذين نسخوا الرحلة. إضافة إلى ذلك يورد إشارات إلى احتمال وجود نسخة أخرى كانت بحوزة السيد "خونزاليز"؛ يقول: "فمن أين جاء السيد خونزاليز بهذا النقل وهو غير موجود في النسخة التي عندنا؟ فهل هناك نسخة أخرى للرحلة لم نطلع عليها؟ "[50]؛ وذلك استنادا إلى المعلومات التي أوردها في رسالته ولم تتوافر في النسخة الوحيدة الموجودة. كما يصف سعد الله صفحات المخطوط من حيث عدد السطور، ونوع الخط، ولون الحبر، والتعاليق الجانبية. ويورد ملاحظة هامة حول تحديد حجم الرحلة؛ فيقول: "والواقع أن كلمة (رحلة) يجب أن تطلق على جزء فقط من المخطوط أي على الجزء الخاص بالمغرب وهو من الصفحة الثالثة إلى الصفحة (75). وهو ما يمكن أن نطلق عليه (الرحلة المغربية). أما بقية المخطوطة (من صفحة 75 إلى 278) فهو عبارة عن يوميات ومذكرات المؤلف"[51].

أما طريقة التحقيق فيذكر المحقق أنه واجه صعوبات ومعوقات كبيرة أجملها في أمرين: تعدد الموضوعات، وتوفر نسخة واحدة من المخطوط. أما تعدد الموضوعات؛ فذلك راجع إلى أن ابن حمادوش كان يخلط في رحلته بين المواضيع من جميع المجالات: كالتاريخ، والتصوف، والعلوم، ومسائل التوحيد، والفقه، والرياضيات، والقصص الخرافي؛ فكان لزاما على المحقق العودة إلى كتب كل مجال ليمكنه التدقيق والتعليق والشرح. أما توفر نسخة وحيدة؛ فإن سعد الله يذكر أنه أجَّل تحقيق الرحلة عدة سنوات قضاها في البحث عن نسخة أخرى، خاصة

بعد أن بدا له وجود نسخة أخرى، بالنظر إلى المعلومات التي ساقها "خونزاليز"، لكن بعد يأسه من ذلك باشر العمل على تحقيق النسخة الوحيدة التي صوَّرها من المغرب، وأخرجها في ورق صقيل، واستعان بخبير خطوط (نظرا لرداءة خط المخطوط) الذي كتبها بخط يده، ثم راجعها معه مطابقة مع خط المخطوط المصور، ثم كتبها أخيرا بيده بإملاء زوجته. وبعد وضع تعاليقه، استعان بنفس الخبير لضربها على الآلة الراقنة. ورغم هذا ظلت بقية من الصفحة الثالثة والتسعين(93) لم يتبين عباراتها هو ومعاونوه، وشَقِيَ في الحصول عليها، لكن دون جدوى. وعن هذا التعب يقول سعد الله: "لو قيل لي عن التعب الذي سيصادفني من جراء تحقيق هذه المخطوطة قبل الإقدام عليه لما صدقته أو لما أقدمت أصلا"[(52)].

**2- رحلة أبي عصيدة البجائي:** يذكر سعد الله أن صلته بهذه الرحلة ترجع إلى حصوله على نسخة شريطية (ميكرو فيلم) من إحدى المكتبات الأمريكية، مكنته من الاطلاع على محتوى رحلة البجائي المعنونة بـ "**رسالة الغريب إلى الحبيب**"، أين تعرَّف من خلالها على رجل أديب، عالم، فقيه، علاَّمة، من أعلام عصره في القرن التاسع الهجري؛ هو أبو عصيدة أحمد بن أحمد البجائي (من بجاية). وقد تعجب سعد الله من عزوف كُتَّاب تاريخ الأدب والرحلات، وكتاب التراجم والطبقات عن الترجمة له أو ذكره، مع ما كان عليه من علو المقام في العلم والأدب؛ "وقد امتلأت كتب التراجم بمغمورين لا نكاد نجد لهم مشاركة في مجريات عصرهم!"[(53)]. عزم سعد الله على نشر ما أمكنه عن حياة البجائي ورحلته، فاعتمد على النسخة الشريطية التي بحوزته. والرحلة كما يصفها من نوادر المخطوطات، وهي رسالة كتبها البجائي من المدينة المنورة إلى صديقه (ابن بلده) "**أبي الفضل المشدالي**" المقيم بمصر، وقد تضمن مخطوط الرسالة وصفا وافيا لكتاب البجائي: "**أنس الغريب وروض الأديب**"؛ وهو كتاب مفقود.

أما المخطوط الذي حصل على نسخة شريطية منه سنة 1978م من مكتبة جامعة "برنستون" (PRINCETON) الأمريكية؛ فيقع في خمس وسبعين ورقة مكتوبة بخط مغربي، بعنوان: "رسالة الغريب إلى الحبيب" لمؤلفه أحمد بن أحمد البجائي. وهذه النسخة الشريطية لم توضح كل الأسطر وكل الفقرات، فتردد سعد الله في تحقيق الرحلة اعتمادا على نسخة واحدة؛ فحاول الحصول على نسخة أخرى فلم يتحقق له هذا المراد، فقرر أولا أن ينشر دراسة عن الرحلة وصاحبها في إحدى المجلات العلمية، لعل ذلك يخرج مخطوطة مخبأة لدى أحد ما، ولكنه في نهاية المطاف قرَّر تحقيق الرحلة ونشرها "في كتاب باعتبار المختصر يقدم زبدتها، في انتظار العثور على نسخة أخرى أو على استنساخ النسخة الأمريكية كاملة"[(54)].

**2-1- جهود سعد الله في التحقيق:**

**01-** عرَّف سعد الله بالمخطوط، وصفته، ومكانه، ورقمه، وعدد أوراقه وحالتها، وظروف الحصول عليه، والخط الذي كتب به، ومالكيه الأوائل. ثم وصف محتواه من الديباجة إلى نص الرسالة، ثم محتوى الرسالة وأسلوبها.

02-ترجم أبو القاسم سعد الله لأبي عصيدة البجائي، ومولده، ومنشأه، وظروف رحلته، واستقراره بالحجاز، وعلاقته بأبي الفضل المشدالي.

**02-** وصف العصر الذي عاش فيه البجائي (القرن التاسع الهجري)؛ وهو عصر حكم بني مرين في المغرب العربي؛ الذي اتسم بالضعف السياسي وانحسار سلطان المسلمين في الأندلس وسيطرة الإسبان على الأراضي الإسلامية.

**3- رحلة ابن الدين الأغواطي:** كان جهد سعد الله في هذه الرحلة جامعا بين الترجمة والتحقيق؛ ذلك أن هذه الرحلة ظهرت بين سنتي 1829م و1831م باللغة الإنجليزية؛ مترجمة من طرف القنصل الأمريكي بالجزائر "ويليام هودسون" من نصها العربي الأصلي المفقود إلى اللغة الإنجليزية. حاول سعد الله الحصول على النص العربي لكنه لم يفلح في ذلك؛ فاعتمد في الترجمة والتحقيق على ثلاثة نصوص:

- ترجمة "ويليام هودسون" (WILLIAM HUDSON) باللغة الإنجليزية.
- خلاصة الرحلة المنشورة باللغة الإنجليزية في مجلة "تورث أمريكان ريفيو" ( NORTH AMERICAN REVUE).
- ترجمة "دافيزاك" (D'AVEZAC) باللغة الفرنسية في كتابه: "دراسات في الجغرافية النقدية".

هذا الجهد المزاوج بين الترجمة والتحقيق، أثمر صدور النص العربي لرحلة ابن الدين الأغواطي إلى الوجود. وسعد الله نفسه يُقِرُّ في الصفحة الأولى من كتابه: "رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية" بأن جهده تمثل في ترجمة هذه الرحلة وتحقيقها(55).

**خاتمة**

ساهمت جهود أبي القاسم سعد الله في أدب الرحلة مساهمة نوعية، في إبراز قيمة الرحلات الجزائرية بأنواعها (الحجازية، والعلمية، والجغرافية)، وكذلك في إبراز مكانة الرحالين الجزائريين، الذين كان أغلبهم علماء وأصحاب مكانة في عصرهم، ونفضت بحوثه الغبار عن جواهر نفيسة كانت حبيسة الرفوف في بطون المكتبات؛ فأخرجت هذه النوادر من الرحلات إلى جمهور القراء والباحثين. ساعدت هذه الجهود في تمهيد السبيل لمن يأتي بعده من الباحثين الراغبين في دراسة هذه الرحلات وهؤلاء الرحالين، كما لفتت الأنظار إلى رحلات غير الجزائريين من المغاربة والأوروبيين الذين ذكروا الجزائر في رحلاتهم أو زاروها وكتبوا عنها. وكان قصده من وراء هذه الجهود إخراج وإظهار الإرث الثقافي والأدبي الجزائري عبر التاريخ؛ فهو جهد محمود، ورصيد علمي زاخر، يحق لكل دارس في هذا الباب أن يعود إليه، وينهل من معينه الصافي؛ إيضاحا لمشكلات أدب الرحلة، وتوسيعا لدروب البحث في الأدب الجزائري.

**الهوامش**

**01-** "ولد أبو القاسم سعدالله عام 1930، في قرية قمار، ولاية وادي سوف؛ وفيها أخذ دروسه الأولى في اللغة العربية وعلومها، وحفظ القرآن الكريم، وبعدها انتقل إلى تونس لإكمال دراسته ابتداء من سنة 1947م إلى غاية نوفمبر 1954م. التحق بكلية دار العلوم بمصر وتحصل منها على الليسانس والماجستير في اللغة العربية وآدابها، ثم سافر إلى أمريكا، ودرس التاريخ والعلوم السياسية في جامعة "مينيسوتا" من سنة 1960م إلى غاية 1965م، تحصل فيها على الماجستير والدكتوراه". سميرة انساعد، الرحلات الجزائرية إلى المشرق، دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ط 1، ص 60.

**02-** عبد الرزاق بن محمد بن محمد بن حمادوش المعروف بابن حمادوش الجزائري، ولد بالجزائر سنة (1107هـ-1695 م)، وعاش حوالي تسعين سنة، له الرحلة المعروفة بـ "**لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**".

**03-** هو أبو راس الناصر؛ واسمه بالكامل محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الناصر الجليلي، ولد حوالي سنة (1165هـ) وتوفي سنة (1238هـ) أو (1239هـ). صاحب الرحلة الشهيرة المعروفة بـ "**فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**".

**04-** هو ابن الدين الأغواطي، ولا يعرف عنه من نسبه شيئا إلا هذا الاسم، لكنه يتسمى بـ"الحاج"، وهو من ناحية الأغواط، له رحلة قام بها بين سنتَي 1825م و1829م، بطلب من قنصل أمريكا بالجزائر، السيد "**ويليام هودسون**"، اعتمد في رحلته أسلوب الجغرافيين الذين اهتموا بما عُرِف بـ "**أدب المسالك والممالك**".

**05**– هو عاشور بن موسى القسنطيني الفكيرين، أديب واسع المعرفة ذو حافظة وذكاء، صاحب رحلة دامت عشرين سنة، ومدرس له تلاميذ نوابغ أمثال أبي سالم العياشي صاحب الرحلة المعروفة بـ"**ماء الموائد**"، ويبدو أن لقب "**الفكيرين**" كانت تُعرف به عائلته؛ إذ أُطلق على أبيه أبي عمران موسى وعلى أخيه محمد، اللذَين تتلمذا معه على يدي الشيخ عبد الكريم الفكون. ينظر: أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام الشيخ عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1986، ص 96.

**06**– اكتفينا في هذا البحث بالمستويات الثلاثة الأولى، وأرجأنا دراسة المستوى الرابع المتعلق بكتابة الرحلة إلى بحث لاحق – بإذن الله – مراعاة لشروط النشر، وذلك نظرا لتعدد رحلات الكاتب، ورغبة منا في إعطائها حقها من الدراسة.

**07**– أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، عالم المعرفة، الجزائر، ط 3، 2009، ص 279.

**08**– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 395 و396.

**09**– المرجع نفسه، ص 396.

**10**– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 178.

**11**– المرجع نفسه، ص 180.

**12**– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، ص 402.

**13**– المرجع نفسه، ص 403.

**14**– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، ص 181.

**15**– المرجع نفسه، ص 185.

**16**– المرجع نفسه، ص 182.

**17**– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 212.

**18**– المرجع نفسه، ص 216.

**19**– ترجم له كراتشكوفسكي ترجمة وافية؛ وصفه فيها بأنه "من أنشط كتاب المغرب في ذلك الوقت وأحفلهم إنتاجا". ينظر: أغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 2، 2008، ص 847 و848.

**20**– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، ص 391.

**21**– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، ص 339 و340.

**22**– المرجع نفسه، ص 339.

**23**– المرجع نفسه، الجزء الأول، ص 188.

**24**– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، ص 410.

**25**– الحسين بن محمد الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق: محفوظ بوكراع وعمار بسطة، المجلد الأول، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص 36 و37.

**26**– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، ص 412.

**27**– المرجع نفسه، ص 397.

**28**– ينظر: السعيد الورقي، في مصادر التراث العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 157.

وللتوسع أكثر في هذا الموضوع، يراجع: عبد الرحمان حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط2، 1995، ص 36، وشاكر خصباك، الجغرافيا عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986، ص 86، وأحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص 112.

**29**– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 401.

**30**– الحاج ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي في شمال إفريقية والسودان والدرعية، ترجمة وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 81.

**31**– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، ص 183.

**32**– المرجع نفسه، ص 190.

**33**– المرجع نفسه، الجزء الأول، ص 358.

**34**– المرجع نفسه، الجزء الثاني، ص 169.

**35**– المرجع نفسه، ص 174.

**36**– المرجع نفسه، ص 358.

**37**– ينظر: عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص16. وينظر كتابه الآخر: في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، الجزائر، 2009، ص 116.

**38**– المرجع السابق، ص 360.

**39**– أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 277.

**40**– المصدر نفسه، ص 284.

**41**– المصدر نفسه، ص 285.

**42**– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، الجزء الثاني، ص 243.

**43**– المرجع نفسه، ص 245 و246.

**44**– المرجع نفسه، ص 246.

**45**– الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص 83.

**46**– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، ص 248.

**47**– عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 13.

**48**– المصدر نفسه، ص 12.

**49**– المصدر نفسه، ص 13.

**50**– المصدر نفسه، ص 17.

**51**– المصدر نفسه، ص 18.

**52**– المصدر نفسه، ص 19.

**53**– أحمد أبو عصيدة البجائي، رسالة الغريب إلى الحبيب، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1993، ص 05.

**54**– المصدر نفسه، ص 07.

**55**– الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص 01.